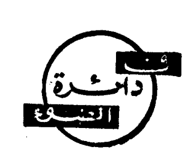


في مواجهة الفراغ الفكري والنفسي في الشباب

أنور الجندي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ان من اكبر المهام التى يفرضها علينا « التحدى الذى تواجهه الأمة الاسلامية » : تحدى الصهيونية والاستعمار والماركسية : ممثلا فى التغريب والغزو الثقافى والشعوبية : هو : بناء ذاتية المثقف المسلم العربى .

ان اى ثقافة او قراءة او اطلاع دون هوية ومعرفة للهدف ودون ايمان برسالة الايمان والحب لهذه الأمة والذود عنها وافتداء عقائدها ووجودها ، لا قيمة لها ، بل انها سوف تكون مصدرا من مصادر الشقاء لأنها سوف تدفع صاحبها ليجرى مع كل ريح ، وسوف يعجز عن تحديد موقفه من أهواء المذاهب وتيارات النظريات وزخارف التعابير المنمقة الكاذبة نحن مطالبون أولا بأن نعرف ركائز فكرنا وعقيدتنا ، فاذا عرفناها آمنا بها واعتنقناها وملأنا بها كياننا الروحى والنفسى والعقلى ، واستطعنا فى ضوئها أن نواجه كل ما يقدم الينـا من هذا الشتات الكثير المختلط ، ان الخطر الذى اجتاح بعض من غلبوا على أمرهم فانحازوا الى هـذا الفـكر أو ذاك انما كان مصدره « منطقة الفراغ » التى دفعت الرياح الهوج لتملأها ولو انهم كانوا قد عملوا على ملئها بالحق والخـير

والايمان والنور المستمد من العقيدة الصافية والفكر الأصيل لما استطاعت الأهواء أن تجتاحهم ، لقد برقت فى عيونهم كلمـــات خادعة لفـــرويد ونيتشـــة وماركس وســـارتر ، ولو تعمقوها لوجدوها سما زعافا . ان المثقف المسلم الأصيل المؤمن بأمته وعقيدته لا تخدعه الأسماء اللامعة ولا المطبوعات الفـــاخرة ولا الكلمات البراقة وانما يعرف الرجال بالحق فمن عرف الحق عرف أهله ومن ثم فان هذه الركائز قد تكون قادرة على القاء الضوء الكاشف أمام النفوس المستشرفة للضوء والعقول المتطلعة الى النور .

ان أمتنا ليست فى حاجة الى ان تعتنق مذهبا ما من هذه المذاهب المطروحة امام الفكر ، أو نظاما مجلوبا من خارج دائرة ثقافتها . وهل يجوز لأمة لها هذا التاريخ العريق والدور الأصـــيل فى بناء حضـــارة الانسانية ان تحتوى ، أو تصهر فى أتون فكر الأمم ، أو أن تستعبد لنظريات الفكر البشرى وعندها الفـــكر الربانى الخالص الأصيل المستمد من وحى السماء . ان أبرز طوابع أمتنا هى الأصالة والاحتفاظ بالكيان الخالص والذاتية التى لا تنصهر ولا تذوب فى فكر الأمم ، ولأمتنا المنهج الأصيل الذى يحقق لها اذا اخذت به أسعد ما تتطلع اليه الأمم من نظم الاجتماع والفكر استمدادا من التوحيد الخالص والالتقاء بالفطرة والتجاوب مع الطابع الانسانى ، ان نظرة فكرنا الاسلامى العربى نظرة رحبة عميقة واسعة الآفاق والأبعاد جامعة بين الروح والمادة والعقـــل والقلب ، والدنيا والآخرة ، فى اطار الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والايمان بالبعث والجزاء . هذا الفهم الجامع الكامل الرحب من شأنه أن يثرى آفاق حياتنا فى مواجهة التحـــدى الاستعمارى الخطير الذى يلتمس الآن أصول فكرنا لتزييفه

واحتـــوائه من خـــلال مؤسسات ظـــاهرة هى التبشـــير والاستشراق ومن خـــلال قوى خفية تتمثل فى بروتوكولات صهيون وما تدبره فى خفاء عن طريق الفكر والصحافة والثقافة وبواسطة مذاهب فلسفية تدور حـــول النفس والأخـــلاق والاجتماع ومقارنات الأديان وذلك فى سبيل تحقيق هدفها الخطير المعلن وهو السيطرة على العـــالم بعـــد القضـــاء على كل قيمه ومثله وأخلاقياته .

ومن هنـــا فان التحـــدى يجب أن يكون قائما فى نفس كل منا وعقله ، لا يغيب عنا لحظة ولا تجدنا ننظر فى أمر من أمور الثقافة أو الفكر أو الاجتماع الا ونحن مستحضرون هـــذا الخطر الذى ترمى اليه كل القوى الطامعة فى بلادنا والتى ترى أن خير وسيلة لاحتوائنا هى استقطاب فكرنا ، حيث أننا أمة لا يمكن أن تخضع الا اذا ازيلت رواسيها : القرآن والاسلام واللغة العربية . لقد تنبهنا لهذا الخطر منذ زمن طويل وبقى أن نحول هذا الفهم الى ارادة حية تصد هذا الكيد وتحمى هذا الميراث وتحمل تلك التبعة وتذود عن هذه الأمانة بكل مرتخص وغال ، ذلك ان اى انسان منا ما هو الا ابن هذه الأمة وهذا الفكر وهى بنوة عريقة ونسب كريم فقـــد حمـــل آباؤنا أشرف رســـالة واعظم دعوة وكانوا من المجاهدين فى سبيل هذا الحق ، قادة للهدى والنور والخير فى كل أرض وعصر ومن حقهم علينا أن نسير على طريقهم فى النضال وأن نحمى هـــذه الأمانة ونذود عنها وأن نظل قادرين على حمل اللواء ، وأن نقدم الاسلام الى الأمم الحائرة التى تعيش اليوم فى قلق وتمزق نتيجة غلبة النزعة المادية عليهـــا .

ومن أجل تحقيق هذا كله اردت أن اضع بين ايديكم هذه المجموعة من الحقائق الفكرية والثقافية كأساس لبناء نظرة صحيحة الى الحيـــاة .

أولا : ان التدين جزء من الطبيعة البشرية ولا يستطيع الانســـان أن يعيش بغـــير دين وقد عجزت الأيديولوجيات والمذاهب الحديثة ان تقـــدم له بديلا عن الدين يرضى روحه ويسعد حياته .

لقد حررت الأديان الانسان من عبودية المجتمع وعبودية الفرد ليتجه الى الله وحده ولكن هذه الأيديولوجيات أعادت الانسان الى سجن المجتمع — لقد تضاءل الانسان ليصبح مجرد نملة اجتماعية فى مجتمع النمل .

لقـــد علمت الأديان الانسان انه ليس حشرة اجتماعية ولكنه انســـان ذو كرامة . فاستطاعت أن تمنح معتنقيها هداية لا تستطيع أن تجاريها فيها الأيديولوجيات التى فصلت الانسان من عبادة قوى الطبيعة الى عبادة قوى المال والمادة .

بينما ارتفعت الأديان بالانسان الى عبادة الله الواحد القهـــار .

ثانيـــا : ان الانسان ليست له أزمة ولا قضية حادة فى ظل مفهوم الاسلام ذلك أن الاسلام نظر الى الانسان من خلال طبيعته الجامعة بين الروح والجسم والعقل والقلب . نظر اليه بوصفه كيانا متكاملا وبذلك أقر رغباته المادية كلها

واباحها له دون أن يقيدها الا بضوابط معينة قصد بها حماية الانسان نفسه من الانهيـــار والتـــدمير وحتى يكون قادرا على اداء رسالته فى الحيـــاة ومواجهة مختلف التحـــديات دون أن يضعف أو ينهـــار .

ثالثا : الغى الاسلام الفكرة الوثنية القديمة (التى تتجدد عن طريق الأيديولوجيات) القائلة بأن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الجسم والروح متكاملان وبذلك عارض مفهوم الرهبانية ومفهوم الاباحية معـــا ودعا الى التوازن والى اعلاء الرغبـــات حتى تتحقق القـــدرة على تنفيـــذها على النحو الطبيعى السليم .

لقد وضع الاسلام ضوابط من ثلاثة عناصر :

الاعتـــدال — الحـــلال — العفـــة .

ولذلك فقد عجزت ازمة الجنس أن تجد لها مجالا فى محيط الاسلام لأنها لم توجد أصلا . وفى الغرب (وفى الفكر الغربى الوافد الذى نراه فى المسرحيات والسينما ونقرؤه فى الكتب والروايات) نجـــد مجتمعا آخر ، يختلف اختلافا أساسيا عن مجتمعنا . لقد كانت أوروبا تعيش فى ظلال القسر الشديد ثم انطلقت الى الاطـــلاق الشـــديد وبذلك كانت مضطربة فى الأولى لأنها خالفت الفطرة ، ممزقة فى الأخرى لانها جاوزت الطبيعة .

اما الاسلام فقد قبل مبدأ الفطرة القائم على التوازن . اعلن وجود الرغبات من مال وطعام وجنس ولكنه وضعها فى اطارها الصحيح ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضايا أو تسيطر عليها ولم يجعل الجنس قضية القضايا كما نرى

فيما ينقل الينا ولكنه جعـل الحيـاة متكاملة فى عناصرها متوائمة فى رغباتها وحدودها بعيـدة عن الزهادة والسرف والرهبانية والتحلل والاطلاق والكبت وجعل للحيـاة آفاقا أوسع من المادة وأعلى من الرغبات جعل هناك الأشواق الروحية والنفسية والعقلية الى الثقافة والعلم والعبادة . فالاسلام لا يرفض الرغبات الحسية ولكنه يضعها فى اطار واضح . فيجعـل تحقيقهـا عن الطريق الطبيعى بالزواج فى حالة القدرة او التسامى والاعلاء بها بعـد فى حالة عدم الاقتدار . وذلك : دون أن تفقد هذه الرغبات حقها المعترف به فى حالة الاستطاعة .

رابعا : كذب الاسلام ودحض الافتراض القائل بأن الدين يصرف الانسان عن النضال والعمل وأعلن أن الدين يدفع الى القوة والتقدم والكشف والعمران جميعا ايمانا بدعوة الله للانسان الى العمل واستخلافه فى الأرض .

ولا ريب أن دعوة الاسلام الى امتلاك الارادة الخاصة ورفض القيود ومقاومة الغزو كانت مصـدر كل النضالات الوطنية التى انطلقت فى العالم الاسلامى منذ جاءت موجة الاحتلال الأجنبى الى الآن .

خامسا : اعلن الاسلام عن قيام الارادة الحرة لكل مسلم وكل انسـان .

فكل انسان مريد وقادر على العمل والتعبير ، وقد هدى الى الطريقين : طريق الخير وطريق الشر وعليه أن يختـار أحدهما وفطرته تهديه ودين الله المبلغ له عن طريق الرسل والكتب ترشده .

هذه الارادة لها تبعتها : هى المسئولية والحساب والجزاء الأخروى . فلا ارادة بلا مسئولية ولا مسئولية بلا جزاء .

اما الذين يقولون بالجبرية والصدفة وبأن الحياة مطلقة وان من حق الانسان أن يأخذ منها ما يشاء قبل أن يدركه الموت فذلك ليس مفهوما ، وهو فى ذاته مفهوم باطل بحكم العقل والقياس وان ترتيب البعث والجزاء بعد الموت ليس امرا مستحيلا ولا متناقضا مع العقل والفطرة ، ذلك لأن للانسان رسالة فى الحياة ، هو مطالب بأن يقوم بهـا على الوجه الصحيح ، فى سبيل اقامة مجتمع يرضى عنـه الله تبـارك وتعـالى ، فله فى ذلك أجر الاحسـان وجزاء الخطـأ فاقرار البعث مطابق للفطرة ولا يشـكل تناقضا عقليـا بل ان انكار البعث هو الذى يشـكل التناقض ، ويصور هذه الحياة ، على أنها مسرحية هزلية أو لعبة أو لهو وهى ليست كذلك بالقطع ، الانسان له رسالة وهو محاسب عليها **(أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)** .

سادسا : قرر الاسـلام أن هناك قاسما مشتركا اعظم على مختلف القيم والتصرفات : والأخلاق مقررات جاء بها الدين من عند الله وهى ثابتة ثبـات الفطرة الانسانية نفسـها ، لا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

(فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) .

وقاعدة الأخلاق الأساسية فى الاسلام هى أن الحق واحد والخير واحد وانهما لا يختلفان ولا يتعددان . وكذلك الشر والبـاطل .

والأخلاق هى تمييز بين الحق والباطل والخــير والشر ، وسيظل الخير هو الخير والشر هو الشر على اختلاف الأزمنة والبيئات ولن يتحول يوما الى ضده .

ولقد دعانا الاسلام الى اخلاقية الحيـــاة واقام الالتزام الأخلاقى فى كل الأعمال والتصرفات وجعله جزءا من الدين فالدين فى الاسلام جامع بين العقيدة والشريعة والأخـــلاق وهى لا تنفصل ولا تتجزأ .

اقول هـــذا لنكون فى يقظـــة ازاء المذاهب التى تقول بأن الأخلاق نسبية ، لا ، ليست الأخلاق ولكنها التقاليد . ان الأخلاق من عند الله والتقاليد من صنع المجتمع نفسه . فالتقاليد متغيرة نعم ، اما الأخلاق فلا . ولقد يظن دعاة الفكر المـــادى أن الأخـــلاق كالدين نبعت من الأرض ولم تنزل من السماء ولذلك فهم يرونها متغـــيرة اما نحن : المسلمون فنفرق بين الأخلاق والتقاليد ونرى أن الأخلاق ثابتة كثبات القيم الأساسية وأن التقاليد متغيرة ويجب أن تتغير مع اختلاف العصور والبيئات .

والقاعدة أن هناك ثوابت وهناك متغيرات : والتطور والتغير والتحول انما يشمل المتغيرات أما الثوابت فشأنها شأن الأفلاك والمدارات التى تتحرك فيها الكواكب فهى ثابتة . كذلك فى الاسلام أفلاك ثابتة وقيم لا يمكن أن تتغير ولكن ما فى داخلها يتغير ويتحرك .

وتلك ميزة الاسلام :

سابعا : هناك منهجان مختلفان : منهج للعلوم ومنهج

للانسانيات : منهج العلوم يستمد قوته من المادة ويتحرك فى فلكها ولكنه لا يصلح للتطبيق على الانسان : ولا يستطيع مقايسة الأخلاق والنفس والمجتمع . ان المفاهيم التى ترتبط بالانســان فى مشاعره وعواطفه يصعب اخضاعها لقوانين الظواهر الطبيعية . ذلك لأنها تتعرض لظروف مختلفة تتعلق بأعماق النفس ولا تخضع للتجربة .

ثامنا : لا تصدقوا الفكر الذى تقدمه الروايات والأفلام السينمائية والمسرحيات ولا تعتبروه مسلمات . ذلك لأنه لا يصدر عن حقائق وانما عن أهواء وخيال .

الواقع هو المجتمع الذى نعيش فيــه بما قامت عليه أعمدته من مقومات رســمها الدين الذى هــدى البشرية الى الحق ، ثم جاءت العلوم مفسرة له : أما ذاك فهو عالم الخيال والوهم .

ان الاسلام قد قدم لنا كل المفاهيم والقيم والتفسيرات لمختلف قضايا المجتمع والانسان والأخلاق والنفس على نحو كريم ، فيه السماحة واليسر ، وفيه قبول الاضطرار والمغفرة عند الاساءة . والتوبة من الذنب ، اطارات واسعة فسيحة وقيم اساسية : ثم بعد ذلك قدرة على الحركة دون تزمت أو ضيق فماذا جاءت اليوم الرواية الخيالية والمسرحية وأفلام السينما لتقدم لنا مفاهيم أخرى مخالفة للفطرة أو مضادة للحق فما أحرانا أن نعرف وجه الحق وأين هو ولا نتحــول تحت تأثير البريق الخاطف أو الضوء الساطع ، أو التقاء هذه المفاهيم مع أهوائنا ورغباتنا ، لا نتحول الى اعتناق مفاهيم ليست من الأصـــالة فى شىء ولنعرف تمــاما أن الرواية والمسرحيـــة والقصة السينمائية ليست الا ملهـــاة وتسلية

أريد بها ازجاء الفراغ وادخال شيء من الترويح على الناس ولكنها لا تكون أبدا نظما ولا عقائد ولا قوانين مقررة نحاول أن نطبقها في المجتمع فننقل أحكام عالم الخيال الى عالم الواقع والعكس هو الصحيح .

فهي لن تزيد عن أن تكون مخدرا يريد به أصحابه نقـل الناس ساعات من واقعهم الى عالم غريب خيالى ثم اذا هم عادوا وجدوا الواقع قائما بقوته واستمراره لا مفر من التسليم له والاعتراف به والتجاوب معه .

ولنكن قادرين على الفهم الواسع العميق للفارق البعيد بين حقائق الأمور كما جاءت بها رسالات السماء وبين نظريات الفكر البشرى التى وضعها الانسان وفق هواه وفى سبيل تحقيق رغائبه متجاوزا ما يراد له من الخير الى ما يريد هو من الشر ، لنفرق دائما بين الواقع القـائم فى عالم الحيـاة والوجود ، ومكاننا منه ومسئوليتنا ازاءه وبين هذا العـالم الوهمى الخرافى الذى صنعه الانسـان ليدخل على بعض النفوس تسلية أو ملهاة ولا نخلط ابدا بين العالمين : عالم الواقع وعالم الوهم والخيـال .

نحن نعى أننا ملتزمون أمام الله بمسئولية الفرد ازاء المجتمع ، الفرد الذى يملك ارادة التصرف والذى يتحرك فى الحيـاة بين قوى الخير والشر فيختار ما يشاء ويتحمل مسئوليته : مسئولية الجزاء والعقاب والثواب فى عالم آخر بعد أن نموت ونبعث . فاذا جاء عالم الوهم والخيال من خـلال الرواية أو القصة أو المسرحية ليشكك فى ذلك ويقدم لنا صورا زاهية براقة من معطيات الجنس أو الطعام أو الترف فذلك كله خداع

وتضليل ، ولذلك نحن نرفضه ونبتسم ونسخر منه ، لأننا نعلم أنه يريد أن يخرجنا من أرض الواقع التى يجب أن نعيشها دائما ، ويخرجنا من أصالة مفاهيمنا حين يريد أن يصور لنا الحياة وكأنها متعة طيبة من خلال أضواء وترف وذهب وحرير ، كل هـذا هو عالم الوهم الذى يخذل من يصدقه ، لأنه لا يلبث بعد أن ينتهى من قراءته أو مشاهدته أن يجد نفسه فى عالم الواقع القائم المستمر ، بل ويجد الحسرة تملأ النفس على حد تعبير القصص القديمة : نظر نظرة أعقبتها ألف حسرة .

فماذا يجد بعد : ما هو رد الفعل : انه ذلك الاحساس بالتمزق والحرمان اذا ما اندمج فى الخيال وظن أنه الواقع .

لنقبل اذن عالمنا الواقع الحى على حقيقته ولا نسرف فى خداع أنفسنا بالخيال والوهم لبضع لحظات مع أغنية لا تصور الا أكاذيب الشعراء أو مسرحية أو فيلم لا يصور الا أوهام الذين يريدون تدمير النفس الانسانية ، لنحاول أن نعيش واقعنا فاذا لم يكن ما نريد فلنرد ما يكون ، فان علينا أن نعمل ونتقدم ونضيف ونجدد ونكافح حتى نحقق الحياة الطيبة التى نرجوها .

تاسعا : فى مجال النظرة الى الأمور يجب أن نفرق بين أمرين هامين :

هناك أمور مشتركة بين الأمم هى العلوم فالعلم عالمى عام .

وهناك أمور خاصة مطبوعة فى كل أمة بطابعها :

هى الأخلاق والأدب والفن . لكل أمة مزاجها وذوقها وتقاليدها وعقيدتها .

ويمكن أن تلتقى الأمم فى العـلوم وفى المعارف العامة أما ما سوى ذلك فيؤخذ بحذر شديد .

وقد حرص الاسلام على أن يحفظ شخصية أهله ولذلك دعاهم الى معارضة التقليد وانكار التبعية وكفل لهم منهجه الرصين المحكم القادر على ملاقاة كل بيئة وعصر — وكفل لهم كل ما يحتاجونه فى مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية .

ولم يمنع الاسلام الانفتاح والالتقاء بالثقافات المختلفة ولكن على قاعدة أساسية واضـحة : هى أن لا تحجب الشخصية الأصيلة ولا الملامح العامة ولا تهدم قيمة من القيم الأساسية .

وقد دعا الاسلام الى اعلان التمييز بين المسلمين وغيرهم فى العـادات والأخلاق وأسلوب العيش والحياة . وأعلن أن التقليد فقدان للشخصية وأن التبعية عبودية للفكر والعقل .

عاشرا : الاسلام ليس دينا فحسب ولكنه نظام مجتمع والدين جزء منه .

والاسلام منهج حياة وليس نظرية ، وهو منهج متكامل لا يقبل التجزئة ولا يقر النظرة الانشطارية التى ترى رؤية أهل التخصص الحديث فليس علم النفس وحـده أو علم الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد هو وحده كل شىء ، ولكن

هذه العلوم والمفاهيم قاصرة بذاتها ولا تصلح الا حين تتكامل فى اطارها لخدمة الانسان نفسه فلا تقوم نظرية فى واحدة منها على نقيض حقيقة فى الأخرى ، هذا التكامل هو الذى يحول دون التمزق حين يعلى قوم العقل أو يعلى قوم الوجدان . أما نحن فنوازن بين العقل والوجدان والروح والمادة والدنيا والآخرة فلا نفقد الطمأنينة النفسية والسكينة الروحية والثقة العقلية .

وكذلك فان منهج المعرفة الاسلامى يقوم على الترابط بين القيم ويتخذ من الوحى هاديا للعقل ومن الفطرة سبيلا الى العلم ، هذا المنهج الذى يقوم على التحرر من الهوى والتعصب . ويتجاوز الرغبة الخاصة الى الغاية الكبرى .

حادى عشر : قرر الاسلام أن الايمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة المتجددة فى النفس الانسانية ، وتحرص على المعاودة فى حالة الاخفاق وليس الايمان مضادا للمعرفة ولكنه ضوؤها الكاشف فالاسلام لا يقف بالانسان عند مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة بل يضيف اليه علما آخر جاء به الوحى وسجله القرآن وفيه تفصيل عالم الغيب وعالم الآخرة وقد جعل الاسلام الايمان بالغيب شرطا أساسيا من شروط المعرفة .

ثانى عشر : ان من أخطر ما يطرح فى أفق مجتمعنا : القول بأن كل انسان حر ، ومعنى الحرية هنا أنه يرفض التجربة التى قدمتها له الأجيال السابقة وذلك عين الضعف والقصور والعجز ، فالشخصية القوية الرحبة تكون قادرة على مناقشة وجهة النظر الأخرى ، ولو كانت خاطئة ، والنظر فى تجارب

الذين مضوا على الطريق ، أما أن يحجب الانسان نفسه عن ذلك فانه سوف يتقوقع فى أضيق الحدود وسوف يعجز عن اقتحام الحياة وتحقيق النجاح .

علينا أن نواجه خبرات الناس وتجاربهم ومعنا ضوؤنا الكاشف ومقاييسنا الأصيلة . بل علينا أن نطالب الأجيـــال التى سبقتنا بتجربتها ، وعلينا أن نكون منصفين فنأخذ خير ما فيها ، ثم نحاول أن لا نقع فيما وقعوا فيه من أخطاء . تلك هى ضرورة الالتقاء بين الأجيـــال ، وحتمية الحلقات المتتابعة بين الأمم ، ليس بين الأجيال صراع كما يقولون ، بل بينها لقـــاء وتكامل .

لقد استشرى هذا الخطر : خطر رفض تجربة الأجيـــال السابقة ، والنظر اليها فى شىء كثير من الانتقاص أو الزهد فيها وذلك من شأنه أن يفوت خـــيرا كبيرا ، ولقد تعالت صيحات تقول : ان على الأبناء أن يشقوا طريقهم دون توجيه من أحـــد وأن عليهم أن يستعلوا على تجربة الأجيـــال التى سبقتهم وكيف يستعلى من لا يملك شيئا . كيف يستعلى من يجهل . وكيف يرى من ينظر فى الظلام ، اننا دائما فى حاجة الى أمرين وكل الأمم الناهضة تتشبث بهما : منهج أصيل هو ضوء كاشف نعرض عليه كل شىء ولا نقبل الا ما يقره . وتجربة الذين سبقوا على الطريق وبنوا قبلنا حتى نعرف موضع اللبنة التى سيقدر لنا أن نضعها ، ان هؤلاء الذين يعلنون تلك الصيحة ليسوا لنا بناصحين ولا أمناء ، انهم يريدون تحطيم الرابطة الأصيلة بين الأجيال وايجاد الصراع بينها ، ونحن جميعا نعرف بروتوكولات صهيون وما نصت عليـــه فى هذا الشأن : انها تريد تدمير هذه الأمة الصامدة فى وجه الغزو الفـــكرى والاســـتعمار والصهيونية . انهم يطمعون

فى اخراج أجيال مدمرة ممزقة نفسيا متحللة من كل القيم والضوابط فهم يدفعون الأجيال الجديدة الى التمرد على القيم الأساسية للمجتمعـــات ، وعلى الآباء وعلى المربين وعلى الأساتذة (صحيح أن بعض الآباء والمربين والأساتذة ليسوا على مستوى المثل الأعلى) ولكن : ليس الطريق هو ازاحتهم ورفضهم وانما الطريق هو الوصول الى التجارب وفحصها : والأخذ بالنافع وأمن عثار الضار منها ، ان الشباب وهو يحمل أمانة الغد لابد أن يبنى على الأساس وأن يتحرر من أخطاء الســـابقين وأن يستمد التجربة والمثـــل الأعلى والأســـوة من المنهاج وهو القرآن والنموذج الكامل وهو محمد صلى الله عليه وسلم قدوة الأجيال والعالم .

ثالث عشر : ان الاسلام يدعونا الى المجاهدة والمذاهب النفسية الحديثة تدعونا الى الانطلاق فأيهما الخير من أجل بناء الشخصية الاسلامية القادرة على مواجهة أخطار المجتمع وصناعة الحياة والدفاع عن القيم والمقدسات .

ان المجاهدة بمعنى معارضة الأهواء والمطامع والكظم بمعنى تأجيل الرغبة ليس هو الكبت الذى صور فرويد أخطاره وبالغ فى التخويف منها . تلك المخاطر الوهمية التى أذاعها فرويد عن الكبت تختلف تماما ، ذلك أن الكبت انما يستمد معناه ومدلوله من انكار الرغبات أساسا وتحريمها عقيدة وعدم الاعتراف بها واحتقـــارها : كاحتقار الجنس أو المال أو الطعام بينما الاســـلام يقرها جميعا وينكر تحريمهـــا : **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيـــامة) :** ان الاسلام لا يحتقر الرغبات وانما يعترف بها (نفسية وحسية) اعترافا كاملا دون انكار لها وأن كان يدعو الى الاعتدال

فى استعمالها أو تأجيـــل ممارســـتها حتى تتحقق القـــدرة التى تضعها فى اطارها المشروع والصحيح . فتأخير ممارستها ليس كبتا وانما هو اعلاء .

ان خطـــر الـــكبت الذى تفترض الفرويدية انه يؤدى الى العصاب لا يتحقق الا نتيجة الانكار والرفض والاحتقار للرغبات ، أما الاعتراف بها مع التأجيل فذلك مما لا يتعارض مع الطبيعة البشرية وهو ما ترضاه وتحتمله ، ولقد هللت طويلا دعوات التربية الحديثة بأن توجيه الأطفال وعتابهم يؤدى الى كذا وكذا من الأمراض ثم أثبتت التجارب التى أجريت على الطبيعة وبالاحصاء الدقيق أن ذلك محض وهم ، وأن النفس الانسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها شيئا البتة مما يسمى بمركبات النقص أو غـــيره .

ونحن نؤمن أن صانع النفس البشرية (جل وعلا) أقدر على فهمها وآمن عليها من الأخطار وهو الحامى لها من أولئك الفلاسفة الماديين ، وان ما رسمه لها من أساليب تحذير وضوابط ومناهج ترغيب وترهيب انمـــا هو دواؤها الحق وانه متقبل منها وليس بشاق عليها ولا خطر فيه وليس له ضرر ما على النحو الذى تهول به الفلسفات المادية والوثنية .

وان كنا نريد أن نعرف الخلفيات فلنتذكر ان الهـــدف هوتفكيك عروة الشباب منذ الطفولة وبناء أجيال متحللة مدمرة ورفع يد الآباء عن التوجيه وخلق جو من الكراهية فى محيط الأسرة حتى يفقد الشـــباب تلك الثمرة الخصبة « تجربة الجيل » وثمرة العبرة من كفاح الآباء وذلك فى طريق هدف بروتوكولات صهيون الصريح الذى يقول :

« يجب تدمير المجتمعات الانسانية قبل السيطرة عليها » .

رابع عشر : اعطى الاسلام البشرية : التفسير الجامع (الربانى المصـــدر الانسانى الهـــدف) لا ريب انه اصدق التفاســـير ، لقـــد اهمل التفسير المادى جوانب المعنويات والقوى الذاتية والدين والأخلاق وهى جميعها بعيدة الأثر فى مقدرات التاريخ وحركة المجتمعات وسيظل الدين بمفهومه الاسلامى الواسع الجامع عنصرا هاما من عناصر تشكيل الذاتية الفردية والاجتماعية .

وان القائلين بأن الدين ليس مصدرا من مصادر التوجيه او ليس عاملا من عوامل بناء الحضارات وحركة التـــاريخ انما يتجاهلون شـــطرا هاما من طبائع النفوس وخصائص الأشـــياء .

خامس عشر : لا يزال الاسلام والاسلام وحده هو المنهج القادر على اعطاء النفس العربية والاسلامية ، بل النفس الانسانية ريها وسكينتها ، وقوتها وحيويتهـــا . ان الخطأ هو اعتناق عقائد المجتمعات التى تشكلت على نحو خاص ، والخطأ هو أن تؤخذ الأمور من نهاياتها فهـــذه الحضارات قد شاخت وبان عوارها وفسدت ولم تعد تنفع اهلهـــا ، وحاول اصحابها تعديل مناهجها مرة بعد مرة ، ومع ذلك فلم تحقق لهم ما يطمعون فيه ، ان ما يطمعون فيه لا يوجد لأنهم يقيسون بمقياس واحد : مقياس جزئى ، هو مقياس العقل والعلم والمادة بينما يقيس الاسلام بمقياس متكامل : عقل وقلب وعلم ووحى وروح ومادة .

ان حضـــارة الاســـلام لا تقوم على العـلم وحـده ، ولكن على العلم فى اطار العقيدة .

سادس عشر : ان تخلف المسلمين فى العصر الحديث قضية مستقلة ، عن منهج الاسلام ذاته ، فمنهج الاســلام حين طبق أمام تلك الحضـــارة الباذخة وحين غفـــل عنه المسلمون وتجاوزوه وتعـــوا فى هوة التخلف فالعيب ليس عيب المنهج ، لأن المنهج ربانى وقد سجلت تجربته بصماتها على التـــاريخ . ان القيم الاسلامية فى تقدميتها ونصاعتها ليست مسئولة عن التخلف ، وانما جاء التخلف نتيجة تجاوزها واهمالها ، يقول ولفرد كانتول سميث : « انه دين استطاع أن يوحى الى المتدينين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع » .

ولقد يرى البعض أن تخلف المسلمين ليس له الا سبب واحـــد : هو سقوط العزيمة ، سقوط الارادة : الغفـــلة عن الأخطار المحدقة من كل جانب **(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)** ، **(ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم)** .

ان ظواهر التخلف ظهرت فى اليوم الذى بدأ فيه المسلمون يميلون الى الحلول السهلة ، ويسترخون ، ويتجاهلون الخطر المحدق . ويبتعدون عن حياة اليقظة التامة والمرابطة الدائمة فى الثغور ، والانحراف عن مبادىء القرآن . هذه أمة الرباط الى يوم القيامة كما حدث الصادق المصدوق ، لقد فقد المسلمون التحدى فسقطت العزيمة : غفلوا عن المجاهدة ، فقدوا روح الصلاة والايمان واكتفوا بالظاهر ، عند ذلك دارت الدائرة عليهم ، يقول أرنولد توينبى : « ان الغرب وضع الحبـل فى رقبة العالم الاسلامى منذ القرن الخامس عشر وكان يتهيب

ان يشده ، ثم بدا له ان المسلمين فى نوم عميق فشد حبله وسيطر عليهم » .

سابع عشر : ان دخائل كثيرة دخلت على المسلمين وافسدت حياتهم واعلت من شأن المتعة والترف وابعدتهم عن الاخشيشان والقدرة على الصمود ، وفرغت حياتهم من فريضة الجهاد وتخلفوا عن مفهومهم الأصيل : احرص على الموت توهب لك الحياة ، وغفلوا عن بذل النفس رخيصة فى سبيل الحق ، وتقهقروا الى الحرص والخوف والجبن والذلة بما اعجزهم عن مواجهة الموت فى ميادين المقاومة . وقبلوا بالحياة ذليلة ، ولو علموا انهم سيموتون فى نفس اللحظة التى ينتهى فيها الأجل لما حرصوا ولا جزعوا . واليوم حين تعود فريضة الجهاد الى حياتهم يبدأون عصرا جديدا .

ثامن عشر : اقر الاسلام حرية الفكر والعقيدة : **(لا اكراه فى الدين)** ودعا الى المطالبة بالبرهان والدليل ونهى عن تحكيم الهوى وفتح باب الاجتهاد ودعا الى عدم الانخداع بالأوهام والاغترار بالظنون وانكر القول بغير دليل وقرر عدم كتمان العلم واطلق حرية البحث ودعا الى التحرر من التبعية والتقليد واقر مبدأ الأصالة .

وفرق بين العقائد والمعارف . وجعل العقائد خاصة وجعل المعارف عامة وفرق بين الأساس والعارض وفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية (من لغو القول وازجاء الفراغ) ودعا الى الأخذ من كل علم بأحسنه كما دعا الى التحري عن الحق وافهم اهله بأن من كرامة العلم الربط بين العقيدة والعمل بها ورفض مبدأ العلم لذاته وقرر أن العلم

يعترف بالحق اذا تبين وأن يغير العالم رأيه اذا جاء الدليل وانما يطلب العلم من أجل العمل به وأقام الاسلام الفطرة ودعا الى نقائها وشدد بالنهى عن افسادها بالتعاليم الضارة . ودعا الى التحرى عن الحق وطالب اهله بأن من كرامة العلم أن نعترف بالحق اذا تبين وأن نرجع الى الحق اذا جاء الدليل ولا يمنعك قضـــاء قضيته بالأمس ثم هديت فيـــه لرشدك أن تعود الى الحق فان الحق قديم وان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

* * *

دار العلوم للطباعة

القاهرة ، ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)

ت ٢١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٤٥ / ٧٩

الترقيم الدولى ٦ — ٢٨ — ٧٣١٨ — ٩٧٧